

بِقلم الدكتور
ميساك عاصي

النقد في لسانه : تطوره واتجاهاته

- ١ -

تعرفون ، ولا شك ، ان هناك اكثر من طريق واحد يمكن ان يسلكه الباحث في موضوعات هذا المؤتمر . وتكون كذلك ان ثمة اكثر من زاوية واحدة يمكن ان ينطلق منها الدارس للنظر في موضوعه على ضوء الخط العام الذي يقترحه المؤتمر ، وهو رصد الاتجاهات الادبية المعاصرة واثرها في خدمة المستقبل العربي ، وطنيا ، وقوميا ، وانسانيا .

الا ان اختيار الباحث للطريق الذي ينهج ، وللمنظور الذي يلتزم ، مرتبط في النهاية بالمفهوم الايديولوجي للتاريخ ، وبالوقف الفلسفي من الادب والحياة ، سواء وعي الباحث هذا الموقف وذلك المفهوم أم لم يبلغ فيهما درجة الوعي والوضوح .

ولعل احدى سبيل للاحاطة بواقع الحركة النقدية العربية الا تنصب جهود الباحثين في هذا الموضوع على رصد الاتجاهات النقدية في اطارها العربي العام دون التوغل في الكشف عن خصائصها وابعادها في كل قطر عربي على حدة .

ولذا ، بوصفي عضوا في بثة اتحاد الكتاب اللبنانيين ، فان حديثي اليكم سيضمن محاولة للكشف عن حركة النقد الادبي عندنا ، من حيث نشأتها وتطورها ، ومن حيث الاتجاهات الكبرى التي سادت في مختلف مراحل تطورها .

كما سيضمن في الوقت نفسه تقييما لتلك الاتجاهات مستندا الى ما التزمه من مفهوم جدلي للتاريخ ولقضايا الادب والنقد .

- ٢ -

ولا بد ، قبل مباشرة اي عرض او تقييم ، من ان اقدم بايجاز الملامح الاساسية لما يستقيم عندي من مفهوم للنقد اعتقد انه يستجيب لدواعي التقدم الذي حققته امتنا في مختلف المجالات حتى الان ، كما يستجيب لدواعي التقدم الذي تطمح الي تحقيقه في المستقبل . وهو مفهوم يستند من جهة الى طبيعة الوعي النقدي للانار ، ويستند من ناحية اخرى الى اتجاه ذلك الوعي وارتباطه بحركة الفكر ومنهجيتها .

ولزيد من التوضيح اقول : ان النقد بما هو عملية تقييم للآثار الادبية ، فان طبيعة هذا الوعي التقييمي يمكن ان تتم على احد المستويات الثلاثة :

١ - مستوى الانطباع العاطفي او الحدس الشعوري .

٢ - مستوى الفكر العقلاني .

٣ - مستوى المنظومة الفلسفية .

ان هذه المستويات الثلاثة التي يمكن ان تتم فيها عملية الوعي التقييمي للآثار الادبية والفنية ، تؤلف في حقيقتها المراحل الثلاث ، او المراتب الثلاث ، لتطور الوعي الانساني وارتقائه من مستوى الادراك الحسي الى مستوى الادراك العقلاني فالى مستوى الاحاطة الفلسفية الشمولية .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان طبيعة النقد الادبي المعبر عن مجرد الانفعالات الشعورية تجاه الآثار الادبية والفنية ، هي نفسها طبيعة الفكر الانساني في أدنى درجاته من مراقبي الوعي والادراك . غير ان ثمة مفارقة كبرى يجب التنويه بها حالا ، وهي انه اذا كان مجرد الانفعال الحسي بالاشياء غير كاف لاكتناه حقيقة العالم الموضوعي وامتلاكه ، فانه يظل شرطا لازم الوجود لكل توجه عقلائي ، او فلسفي ، يليه لاكتناه حقيقة الاشياء والاحداث . ومن هنا فان النقد الادبي كمنبسر تقييمي عن انفعال شعوري بالآثار ظاهرة ملازمة لجميع اطوار النقد ، وملازمة اساسا لجميع اتجاهاته . سوى انها حين تكون مجردة من ضوابط الادراك العقلاني ، يظل النقد معها في موقع الرؤيا الطفولية الى الآثار ، ويبقى محصورا في حدود الالتماع الحسية الخاطفة ، والكشف الذاتي القاصر ، برغم ما قد يتمتع به حينئذ من عناصر الدهشة ، والاثارة الشعاعية الدافقة .

أما طبيعة النقد ، على مستوى الفكر العقلاني ، فتلك التي تنبثق من كون الفكر قد تجاوز مرحلة الحدس والانفعال لكنه لم يبلغ بعد مرتبة الانظام في فكر فلسفي شمولي . والنقد هنا ، في هذا المستوى ، وجه من وجوه الفكر العقلاني ، وظاهرة من ظاهراته مرتبطة بقضايا الادب والفن . وهو - اي النقد - كظاهرة خاصة من ظواهر الفكر العقلاني ، انما يستطن الاحساس الشعوري بالآثار الادبية اذ هو يسعى ، في الوقت نفسه ، الى ادراكها بالوعي العقلي ، ويعمد الى تحويل الانفعالات الشعورية الى مفاهيم نظرية ومدركات عقلية واعية . غير ان طبيعة النقد في هذه المرتبة ، كطبيعة الفكر ذاته ، هي خواطر وآراء ومواقف لا ينظمها سلك واحد من نظرة شاملة الى الحياة والابداع .

ثمة اخيرا طبيعة النقد الذي هو جزء من منظومة فلسفية شاملة ، وجانب من رؤيا عامة الى الكون والحياة . وفي هذا المستوى الامثل من طبيعة الفكر الفلسفي لا يبيت النقد مجرد انفعالات شعورية ، او

الى ما قبل التاسع عشر في كثير من مواطن انلغة العربية ومن بيننا المناطق اللبنانية .

كما يمكن القول بصورة عامة كذلك ان طبيعة النقد واتجاهاته عندنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بطبيعة الفكر واتجاهاته في لبنان ، ومواكبة لحركة تطورنا الاجتماعي والتاريخي .

ولعل المراحل التي تعكس حركة التطور الاجتماعي والفكري في لبنان ، هي التالية :

١ - مرحلة المواجهة الاولى مع معطيات من حياة الفسرب وتفكيره .

٢ - مرحلة التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية .

٣ - مرحلة التوجه نحو تحقيق الاصاله التراثية والعالية .

هذه المراحل الثلاث تعكس في الحقيقة وجه وجودنا الحضاري في العصور الحديثة ، وهو وجود يتسم في كل مرحلة منها بخصائص تاريخية تطبع ثقافتنا وتفكيرنا بميزات اساسية يحسن بنا ذكرها بايجاز ، لانها في اتوقت نفسه ، مميزات الفكر النقدي الذي ساد في حياتنا الادبية خلال كل مرحلة من تلك المراحل .

ولعل اول ما ينبغي التنويه به هو ان اللغة العربية في لبنان ، قد وجدت لها اثناء عصور الانحطاط ، لا سيما بعد القرن السادس عشر ، واحات تستظلها في اديرة الرهبان المسيحيين واروقة المساجد الاسلامية ، حفظت لها كيانها من التلف ، وامتدتها بنسخ الحياة اللزوم لبقائها واستمرارها .

والواقع ان المناطق اللبنانية في الحقبه الممتدة بين القرن السادس عشر والتاسع عشر ، عاشت فترة المواجهة الاولى لمعطيات من حضارة الغرب وثقافته ، انتقلت بذورها اليها اما عن طريق التجارة التي نشطت قليلا في تلك الازمنة ، واما عن طريق البعثات العلمية والدينية التي امت الغرب من لبنان ، او جاءت الى لبنان من الغرب .

ونتيجة لذلك النوع من الاحتكاك الاول بالحضارة الغربية انشقت في حياة اللبنانيين دوافع التحرك والتجاوز . غير ان آفاق التطور انذاك تم تكن تعني في ظروف التغرب عن الذات القومية ، وظروف الجهل المطبق ، سوى مواجهة الجديد الطارئ بالثفور منه والاستجابة لدواعيه بالاستمسك بالتراث ومحاولة احيائه ، لا سيما اللغة ، وهي حلقة الوصل المباشرة بين الحاضر والماضي ، والجسر الذي لا بد من عبوره لاجتياز الهوة الفاصلة بين التفتقر والانبعث .

وهكذا كان التقدم في تلك المرحلة الاولى يعني التوجه نحو استعادة الامجاد الفائرة ، وتمثل الانماط السالفة في الفكر وفي الابداع . ومن هنا اتجهت حركة النقد والابحاث عندنا وجهة تراثية دينية ولفوية ، مجارة لحركة الفكر في توثبه نحو الماضي من اجل الدخول في الحاضر والانخراط مجددا في مسيرة التاريخ . كما كانت طبيعة النقد والابحاث هي نفسها طبيعة الفكر الناشء ، المنساق في خط التراث واساعي الى تقليد نماذجه ومنهجته .

في هذا المجال تطالعنا تصانيف ومحاولات دراسية شتى تنحصر اساسا في الشروح والتعليقات الدينية واللفوية . كما تطالعنا اسماء عدة لفقهاء دين ولفويين ، ينتسبون الى معظم الطوائف الدينية في لبنان .

ولعل ابرز بحائي تلك الفترة هو المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٧) الذي يعتبر بحق النموذج الامثل لمحاكاة التراث في احياء العلوم اللغوية خلال المواجهة الاولى لمعطيات طارئسة من الحضارة الغربية .

- ٤ -

وتدور عجلة الزمن ويتسع نطاق المؤثرات الغربية في الحياة اللبنانية بفضل تزايد اسباب الاتصال بين الشرق والغرب ، فلا ينصرم

مجرد خواطر وآراء تزواج الاحاسيس الشعورية وتستبطنها . وانما يصبح النقد غرضا من اغراض الفلسفة يبحث على ضوئها في قضايا الادب والفن . بل يصبح هو نفسه فلسفة الادب والفن . وكل نظر فلسفي يحاول اصلا اكتشاف العالم وامتلاكه انطلاقا من احساس شعوري ضمنى بالاشياء ، وانطلاقا من وعي عقلاني كلي يستبطن الاحاسيس الوجدانية المفوية ، كما يستبطن الخاطرة الفكرية القاصرة ، يصبح النقد نظرا فلسفيا في حقائق الابداع الادبي والفني وعلاقتها بالطبيعة والانسان والمجتمع . اي بالحياة في شتى امتداداتها وابعادها .

هذا فيما يختص بطبيعة النقد ، وبطبيعة الفكر الادبي على العموم اما بصدد الاتجاه النقدي فيمكن القول انه استنادا الى ان الفكر الانساني نفسه ، الذي هو حصيلة العلاقة التفاعلية بين الذات والموضوع ، قد يتجه ، في اطار هذا التفاعل ، وجهات مختلفة ، بل ومتناقضة ، تتراوح بين غلبة الذاتية من ناحية ، وبين غلبة الموضوعية من ناحية اخرى . ولذا فان النقد باعتباره احد قطاعات الفكر ، وظاهرة متخصصة من ظاهراته ، لا بد من ان يتجه هو الاخر في واحد من تلك الاتجاهات مترواحا بين الذاتية المثالية من جهة ، وبين الواقعية العلمية من جهة ثانية .

وهكذا نجدنا امام معيارين متلازمين لقياس الاعمال النقدية وتقييمها :

الاول يفرض تحديد هوية النقد من حيث طبيعته الفكرية . والثاني يفرض تحديد هويته من حيث الاتجاه الفكري الذي ينتهج . وعندي ان الهوية الايجابية للنقد في المعيار الاول تكمن في ارتقائه الى مستوى الفكر الفلسفي ، وانخراطه في منظومة شمولية لهذا الفكر في حين ان سمات الوجه السلبي لتلك الهوية تكمن في تداعيه هبوطا الى مستوى الخواطر ، والانفعال الشعوري المتقلب .

وعندي كذلك ان الهوية الايجابية للنقد في المعيار الثاني تكمن في درجة التزامه للاتجاه الواقعي والعلمي في النظرة اتى الانارالادبية ، من ضمن نظراته العامة ، في الاتجاه الواقعي والعلمي نفسه ، الى الحياة والمجتمع في تطورهما التاريخي على اساس الصراع الجدلي بين قوى النمو والتخلف ، وقوى الحرية والاستبداد . في حين ان وجه السلبية ههنا يكمن في ابتعاد النقد عن هذا الخط الفكري الموضوعي كمرتكز اساسي لتقييم المضامين الادبية والفنية ، وتوجهه نحو خط الذاتية ، والرؤيا المثالية في النظرة العامة الى الناس والاحداث .

ومن هنا فان النقد الادبي الذي اعتقد انه ، في ميدانه ، يؤثر التأثير الايجابي في المستقبل العربي ، هو النقد الذي يرتفع فسي طبيعته الى مستوى الفكر الفلسفي في الادب والفن ، وهو الذي يتجه في هذا المستوى اتجاه الفكر الفلسفي ذي المنهجية الجدلية في فهم التاريخ والتأثير في مجراه التقدمي والانساني بصورة دائبة على الدوام .

ولعل هذا المفهوم للنقد يستطيع وحده تحقيق المعادلة الكبرى بين جوهرين متناقضين : جوهر الفن وهو في طبيعته الاصلية ذوة الحس بالاشياء ، وجوهر الفكر ، وهو اساسا قمة الادراك العقلاني ، والوعي الشمولي للواقع وحركته وابعاده .

- ٣ -

والان ، ماذا عن النقد الادبي في لبنان ، نشاته ومراحلته واتجاهاته ؟

يمكن القول بصورة عامة ان بدايات النقد عندنا مواكبة لانخراط لبنان المعاصر في حركة التاريخ العربي منذ بدايات النهضة الحديثة . واذا كان المؤرخون قد اصطلحوا على جعل القرن التاسع عشر هو القرن الاول للابحاث الحديث فان جنود اليقظة العربية قد امتدت

ومع ميخائيل نعيمة في كتابه «القبائل» (١٩٢٣) يعرف النقد ان يكون الداعية الى ادب يواكب الحياة الجديدة ويرتبط بممطياتها المائلة ، وان يكون قبل كل شيء تعبيراً عن الذائقة الشخصية للناقد بغض النظر عن اية مفاهيم تراثية سائدة . ومعهم يعرف النقد الطموح الى ان يكون « عملية خلق وابداع وليس مجرد استحسان او استهجان » .

اما امين الريحاني فقد كان في آرائه النقدية مثله في آرائه السياسية والاجتماعية ذلك الفكر الليبرالي المتقدم الذي آمن بالحرية الاجتماعية انطلاقاً من حرية الفرد ، وتجاوزه لمواقع التخلف والتبعية في فكره وادبه . وفي مقالته « انتم الشعراء » حث صارخ لهؤلاء ، ولجميع حملة الافلام ، على التزام الاصاله الادبية والفنية ، اي ربط الكلمة بمضمونها الحقيقي من احساس الكاتب وجدانه ، بدلا من سنة التقليد وتزييف المشاعر ، التي كانت سائدة فسي الادب والشعر يومذاك .

- ٦ -

ونقدم في التاريخ خطوة فاذا لبنان يعرف في ظل الانتداب مرحلة احتكاك وثيق بالقرب ويعيش عن كتب في مناخ الثقافة الفرنسية واذا حركة النقد والابحاث التي اسهم البستاني ونعيمة والريحاني ونفر من ادباء الطليعة في اطلاقها خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، تكنسب في الثلاثينات والاربعينات مزيداً من التدقيق المنهجي ومزيداً من الحدائنة في تنسيق الآثار وتقييمها ، كما اكتسبت في الوقت نفسه عافية فكرية مكنتها من مواجهة الفن والادب بنظرة منفتحة وضعتها على طريق الاحاطة الشمولية والتوجه نحو مواقع الاصاله التراثية والعالية .

في هذا المجال النقدي تتألق اسماء عديدة ، عمل اصحابها في الصحافة او في التدريس . واذا كان من المتعذر ذكرها جميعاً فلا بد من التنويه ببعضها على سبيل المثال لا الحصر ، من مثل فؤاد افرام البستاني ، صاحب سلسلة الروائع ، وهي دراسات ادبية عن اعلام الشعراء والناترين في تاريخ الادب العربي ، كان لها اثر عميق في تكوين الفكر الادبي الاكاديمي عندنا . ومن مثل مارون عبود (١٨٨٦ - ١٩٦٢) ، صاحب المقالات والابحاث النقدية المنسمة برهافة العفوية وبراعة السخرية على غنى كبير في الكشف والتمعق . كما لا بد من التنويه بجهود اسرة تحرير مجلة « المكشوف » وقد التفت حولها نخبة الادباء اللبنانيين ونقادهم في اواخر الثلاثينات من غير ان تجمعهم رابطة من عقيدة الا رابطة الادب والفكر الجرد .

- ٧ -

على انه منذ فجر الاستقلال ، في مطلع الاربعينات ، وفي حين كانت خريطة النقد في لبنان موزعة بين تيار فكري محافظ ظل طوال جميع العهود السابقة يجتر مقولات التراث دون اي تحول يذكر نحو الحدائنة والنظور ، وبين تيار فكري متجدد هو استمرار للخط الذي رسمناه آنفاً من سليمان البستاني الى مارون عبود واسرة « المكشوف » برز في ساحة النقد اللبناني كتاب يؤمنون بمبدأ الانصوابة فسي الادب ، ويلتزمون قضايا الديمقراطية في السياسة والمجتمع ، ويناضلون في خط التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية . وقد توصل بعضهم الى تبني مفهوم شهولي للدولة على اساس الجدلية الماركسية لجرى التاريخ والفكر . فراح النقد منذ ذلك الحين يشهد عندنا ولادة تيار طبعي لم يألوه تفكيرنا الادبي من قبل ، من حيث اتساع النظرة الى الادب والفن ، ومن حيث اعتبار الادب والفن ظاهرات ثقافية وايدولوجية تعكس الوضع التاريخي

القرن التاسع عشر قبل ان يعرف لبنان ، الى جانب رعييل المفكرين والنقاد المحافظين ، رعيلا متعاطفاً من الادباء والبحائين المجددين ، الذين دشنوا في تاريخ الفكر والنقد مرحلة التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية ، بازاء الذين ظلت آثارهم في المقابل تصعد استمرار النزعة التراثية البحت ، نزعة الاستمسك باحياء الماضي وبعث مفاهيمه ومناهجه .

ففي حين كان الشيخ ناصيف اليازجسي (١٨٠٠ - ١٨٧١) والشيخ يوسف الاسير (١٨١٥ - ١٨٩٠) والشيخ ابراهيم الاحدب (١٨٢٠ - ١٨٨٣) وغيرهم ينهجون في تفكيرهم الادبي ، وفي آثارهم نهج القدماء ، ويشكلون تيار التفوق والانطلاق على التراث بسرز ادباء وباحثون آخرون لم يتجاوزوا اساسا المواقع التراثية لكنهم الى حد ما تأثروا بمعطيات الجديد الطارىء في الفكر وفي الحياة . فكانوا همزة وصل بين الاقبال على الحدائنة والاعتصام بالوروث الثقافي والحفاظة البالغة على مفاهيمه وانماطه .

هذا التيار التطوري يمثلنا عندنا اوضح تمثيل الشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) واحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ - ١٨٨٧) وغيرهما من الكتاب كرزق الله حسون (١٨٢٥ - ١٨٨٠) وسليم البستاني (١٨٤٨ - ١٨٨٤) واديب اسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٥) ونجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩) ممن انطلقوا من مواقع القديم لكنهم في الوقت نفسه اقبلوا على الجديد ونهلوا ما استطاعوا من معينه .

وهكذا شهد لبنان في حقل النقد والدراسات في القرن التاسع عشر ، لا سيما في النصف الثاني منه ، نشأة تيار تطوري يحاول ان يجاري الجديد الطارىء في الحياة وفي الفكر ، في مقابل استمرار التيار التراثي المحافظ .

ولئن لم يتجاوز اي منهما نطاق الاهتمامات اللغوية الملحة ، وصياغة مفاهيم اساسية متفرقة في الشعر وفي الادب عامة ، فان طبيعة الفكر في كليهما لم تتجاوز هي الاخرى مرحلة التوجه نحو المنطق العقلاني ، والتخلص من قيود العصبية الانفعالية والاحكام العاطفية المحدودة ، لا سيما في نتاج التيار التطوري المتفاعل مع معطيات الحضارة الغربية الطارئة .

- ٥ -

ومع دخول القرن العشرين ، واتساع حركة الهجرة اللبنانية حتى شملت القارتين الاميركيتين ، بالإضافة الى البلدان العربية والاوربية ، ومع تزايد المؤثرات الغربية في الحياة اللبنانية قبيل الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، شهدت حركة النقد والابحاث الادبية في نشاط اللبنانيين ، المقيمين منهم والمغتربين ، قفزة الى امام ادخلت على تيار نقدي المحافظ والتطوري تياراً ثالثاً كان يحق تيار الحدائنة والتغيير بالنسبة الى تلك الفترة .

ولقد تمثل هذا التيار الريادي في النقد عندنا بنفر من الكتاب والباحثين في طليعتهم ثلاثة هم سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩) ، وامين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) .

فمع سليمان البستاني في مقدمة ترجمته العربية لالباذة هوميروس (١٩٠٤) دشن النقد عهداً جديداً من منهجية في البحث تقوم على اصول موضوعية من الدرس والتحليل ، ومن الدقة في تحري الحقائق والكشف عنها . كما دشن النقد عندنا وفي البلاد العربية عهد الدراسة المقارنة بين الاداب .

وتستطيع في آن معا العمل على تطويره وتوجيهه .

الكثيف في المجلة او خارجها ، وفي طبيعتهم انطون غطاس كرم
وخليل حاوي ، وخالدة سعيد ، وغيرهم ممن يحملون لواء الحدائنة
والتغيير في اطار المفاهيم الحضارية الليبرالية ، ولا يتعدونها الى
الاخذ بالاشتراكية كسبيل الى التجاوز والحربة .

هذي هي العناوين الكبرى لحالة النقد حتى اواخر الستينات
في لبنان .

يضاف اليها طبعا جهود نفر غير قليل من الدارسين الاكاديميين
الذين يحفظون لبلدنا مكانته في حقل الابحاث الادبية الاصولية . نذكر
منهم بيننا في اتحاد الكتاب اللبنانيين ، منير بعلبكي واحسان عباس ،
ونديم نعيمة ومحمد يوسف نجم وابليا حاوي فضلا ممن هم خارج
اتحاد الكتاب ويعملون في حقل الابحاث انجامية المختلفة .

- ٩ -

اخيرا ماذا عن اتجاهات النقد الادبي الراهنة ، وما اثرها في
مجري التاريخ العربي وصيرورته ؟

يبدو ان خريطة النقد في السبعينات ما تزال الى حد بعيد
تحتفظ بالاتجاهات الكبرى التي كانت سائدة في العقدين السالفين
بفض النظر عن بروز اسماء جديدة ناشئة في هذا الاتجاه او ذاك .

فهناك ، من ناحية ، تيار البحاين الاكاديميين الذين ما يزالون
يواصلون اتسعي في خط الدراسات الاصولية مع ميل ظاهر الى
فك قيود التقليد والتحرر من مقولات التراث ومفاهيمه ، ومع ميل
محسوس الى الاخذ بعلاقة الادب بالحياة والتأثير المتبادل بينهما .
الا ان اعمال هؤلاء على تنوعها ودقتها وفائدتها من النواحي الادبية
والفنية المجردة ، ما تزال الى حد بعيد محصورة في اطار القيمة
الجمالية والشكلية لكأثار ، ولا تولي ابعادها الفكرية والاجتماعية القيمة
التي تستحق . كما ان معظمها لا يتوافر له بعد منطلق فكري عام
يحتضن مفهوما للحياة والمجتمع ويشتمل في جملة ما يشتمل عليه
موقفا من الفن والادب من ضمن ذلك المفهوم وذلك المنطلق .

وهناك ، من جهة اخرى ، تيار الحدائنة الذي يؤمن بان الدخول
في العصر مرهون بالخروج من التراث والسعي في طريق التقدم
الحضاري الغربي ، طريق الليبرالية وابداعها الخلاقة .

وهناك من جهة ثالثة التيار التقدمي واليساري الذي يؤمن
بان الحدائنة تكمن في تجاوز الليبرالية والتوجه نحو الاشتراكية ، وان
الاصالة تكمن في تجاوز المفاهيم التراثية المرتبطة باوضاع التخلف
البائنة ، وحياء ما ينسجم منها مع ذلك التوجه ، واعتبار الادب
سلاحا في الحركة التي يخوضها العرب ضد التأخر وضد الاستبداد
بجميع اشكاله والوانه .

ولا ريب في ان التوجه الفكري والنقدي نحو المفاهيم الليبرالية
للحدائنة خطوة متقدمة على الفكر والنقد بمفاهيمهما التراثية المختلفة .
الا ان التوجه نحو المفاهيم الاشتراكية يجعل الفكر والنقد في خبط
الريادة والمستقبل . ويضمن لهما تأثيرا ايجابيا على حركة التاريخ
العربي في اطارها الوطني والقومي والانساني .

وإذا كانت الاحاطة بلونيات كل من هذه الاتجاهات متعذرة في
مثل هذا المقام فان التصدي لاحصاء العاملين فيها ليس اقل صعوبة
واستحالة .

وهكذا ارتفع صوت رثيف خوري (١٩١٣ - ١٩٦٧) في تلك
الفترة ، يؤكد على ان الادب فعل تاريخي بمقدار ما انه فعل جمالي .
وكما كان رثيف خوري في طبيعة المنظرين لنقد ادبي انضوائي ، وفي
طبيعة المبدعين ادبا انضوائيا مشرفا ، كان ايضا في طبيعة المناضلين
من أجل الاستقلال الوطني وحركة التحرر العربية والعالية .

وفي هذا النمط السياسي والفكري نفسه كانت تهدر على صفحات
مجلة « الطريق » وخارجها اصوات ادبية ذات نكهة فنية متميزة .
تدعو الى تشديد النضال ضد انمازية والفاشية ، واتى دعم قضايا
الاستقلال والتحرر . وكما كانت تدعو الى ادب انضوائي ، وبتدع
اشكالا مختلفة منه ، كانت تحاول ان تصوغ المفاهيم الاساسية للفكر
الادبي الانضوائي ونرسيخ فواعده وبلورة نظرياته . ولا شك في ان
عمر فاخوري (١٨٩٦ - ١٩٤٦) يحتل مكانة اولية خاصة بين كتاب
نلك المرحلة .

- ٨ -

ومع الدخول في الخمسينات ، واحتدام الصراع السياسي فسي
المنطقة انعرية ، وتعاطم المد التحرري وتفجر ثوراته كتعبير عن رفض
الهزيمة العربية في فلسطين واصرار على تعميق المنجزات التحررية ،
شهدت حركة الفكر في لبنان تحركا واسعا للخروج من واقع التبعية
والتخلف . وفي حين استمر الكتاب اليساريون والوطنيون باجمال
يرون ان التجاوز يكمن في ترسيخ التحولات الاستقلالية وتعميق
مفاهيم الحرية والديمقراطية والاشتراكية ، راح فريق آخر يعتقد
ان الازمة انعرية انما هي ازمة تخلف حضاري ، وان لا سبيل الى
تجاوزها الا باعتناق مفاهيم الغرب الليبرالي المتقدم .

وهكذا انعكس هذا النشاط الفكري العام ، منذ مطلع
الخمسينات وحتى اواخر الستينات ، في الحياة الادبية والنقدية
عندنا ، ببروز نيارين يسيعان الى التجاوز من منطلقين متعارضين ،
ومن ايدولوجيتين متناقضتين ، الاول تيار الادب المتمزم ويضم
الكتاب اليساريين والوطنيين بوجه عام . والثاني تيار الادب الحديث
ويلتف حوله ارافضون من الابداء الليبراليين على اختلاف مشاربهم
والوانهم .

وفي حين اتخذ التيار اليساري منبرا له مجلة « الطريق »
الشيوعية ، ومجلة « الادب » الوطنية المستقلة ، وسواهما من
الصحف والمجلات التقدمية ، انتفت جماعات الادب الحديث حول
مجلة « شعر » اساسا وانخذتها منبرا لانماجها في الفكر والفن
والادب ، كما اعتمدت مجلة « حوار » وغيرها من الصحف ذات الاتجاه
التجديدي الليبرالي الرافض .

ومثلما كان التيار التقدمي ينمو ويتعاطم طوال تلك الفترة
وتتألق فيه اسماء رواد عتاق كرثيف خوري ، وضلائع جدد كالشيخ
عبدالله العلياني ، وحسين مروة ، وميشال سليمان ، وسهيل ادريس
ورضوان اتشغال ، وعلي سعد ، واحمد ابو سعد ، وسواهم ، كان
تيار الادب الحديث ينمو ويتسع هو الاخر وتتألق فيه اسماء عديدة
من ابرزها صاحب مجلة شعر يوسف الخال ، وادونيس ، وانسي
الحاج ، وعصام محفوظ ، وشوقي ابو شقرا ، وغيرهم من مؤسسي
المجلة واسرة تحريرها ، فضلا عن ادباء آخرين كان لهم حضورهم الفني